

في نور محمّد فاطمة الزهراء

لم يعد كما كان حين بدأ السعي، وزوّي [967] في نفسه حديثاً جاء لينفضه أملاً غالياً حلواً، ورغبةً مضطربةً مشوّقة. سرعان ما تغيّر! ثبتت ملامح محيّاها، هجعت [968] رموشه، خشعت عيناه، وجبت جوارحه وأعضاؤه. بدا كأنّه كيان من السكون الأجوف، فلا يكاد يُسمع منه غير صوت الصمت الذي يوشك أن يظهر على شفتيه جَمْدٌ أنفاسه! فلا زَيْسَه [969] ولا همسة، لا جرس ولا حسّ، لا خلجة ولا حركة... كلّ ما بقي منه آنئذ هو أعصابه، مكنون أحاسيسه، هدوء مهلhel يغطّي وجومه، وبسمة باهتة لا تداري عبوسه. فلمّا أحسّ النبيّ منه ما يحاول إخفاءه من قلقه واضطرابه، رأى أن يصل إلى حقيقة هذا الذي يعاينه بمسبار [970] نظرة كاشفة غاص بها إلى غيّهَب [971] أعماقه. عندئذ تفتّحت له مغاليق ضميره، تحدّثت خفايا أفكاره، تجلّى سرّ أسرارهِ. وتبسّم الرسول. ولماذا الحيرة؟ لماذا كتمانهِ؟ ثم شاء عليه الصلاة والسلام أن يهوّن على الفتى بعض ضغط الحيرة الذي يؤوده، فمسح على وجهه الواجم بنظرة ترفّقي رحيمة، عسى أن تعيد إليه جناحه الذي تبدّد شعاعاً في أطواء حياته. فسأله: «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟». فاختلج فمه لحظة، ما لبث بعدها أن انطبق ليحتبس فيه ما عساه ينمّ عن خَبيء